مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 09/ العدد: 02- أفريل (2023) - ص 170- 188

مؤثرات ارتحال النظرية النقدية الجديدة إلى الوطن العربي

Factors of the migration of the new critical theory to the Arab World Title in English

أحسن دواس
hassen.douas@gmail.com
جامعة 20 اوت1955- سكيكدة / الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/12/25 تاريخ القبول: 2023/03/06 تاريخ النشر: 2023/04/05

ملخص البحث

شكلت دراسة تأثير المدارس النقدية الغربية ومناهجها على النقد العربي ظاهرة لافتة في الدراسات العربية ابتداء من القرن الماضي، مما استدعى دراسات منهجية أخرى تحاول وضع الاطر النظرية والمنهجية لمثل هذه الدراسات، وتعد ارتحال النظريات وعوامل انتقالها من الوسط الغربي إلى الوسط العربي حلقة مهمة في دراسات التأثير والتأثر وفي هذه المقالة نحاول تسليط الاضواء على أهم العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في ارتحال المدرسة النقدية الجديدة إلى الوطن العربي كسطوة اللسان الشكسبيري والإرساليات التبشيرية والاستشراق.

وتهدف هذه الدراسة إلى وضع معالم هذه المدرسة في إطارها الواضح وضمن سياقاتها التي أُفرزت كنتيجة حتمية لجملة من المعطيات قصد إعادة أقلمة هذه المدرسة النقدية في الساحة العربية.

الكلمات المفتاحية: ارتحال النظريات؛ النقد الجديد؛ التلقي، مؤثرات داخلية؛ مؤثرات خارجية

ABSTRACT:

The study of the influence of Western schools of criticism and their methods on the Arab criticism formed a remarkable phenomenon in the Arab studies from the beginning of the last century, and that is what led to the emergence of other studies trying to put the theoritical and methodological frames of such studies, and the migration of theories and the factors of their movement from the western environment to the Arab one, is considered as an important link in the studies influence and impact. In this article, we try to highlight the most important external factors that contributed to the transmission of the the new school to the Arab world such as the ascendancy of the Shakespearean tongue and missionaries and Orientalism.

This study aims to establish the features of this school in its clear framework and within its contexts, which were inevitably produced as a result of a set of data and the intention to re-adapt this critical school in Arab scene.

Keywords: movement of theories; new criticism; Internal factors; external factors.

1. مقدمة:

إن دراسة أثر النقد الغربي في الخطاب النقدي العربي تستدعي التوقف عند تلك المؤثرات التي ساهمت في انتقال هذه النظريات النقدية من البيئة الغربية إلى البيئة العربية. فنحن كما يقول شوقي ضيف: "نحتاج في دراستنا لأدب أي أمة من الأمم إلى معرفة الأحداث الكبرى التي أثرت في حياة منشئيه؛ لأن الأدب في حقيقته مرآة ناصعة صافية تنعكس عليها حياة أهله وما تأثروا به من أحداث عامة وظروف خاصة"( ). وما ينطبق على الأدب ينطبق على النقد، فهو الآخر مرآة تعكس طبائع الأقوام، وفكر المجتمعات. والظواهر الأدبية والظواهر الفكرية والنقدية بمثابة الكائنات التي تولد وتترعرع كنتاج لسياقات حضارية وتاريخية وثقافية واجتماعية معينة، وقد تضافرت مجموعة من الظروف والعوامل التي أسهمت في خلق هذا التيار النقدي في الوسط العربي.

ونهدف في هذا المقال وضع معالم هذه المدرسة في إطارها الواضح وضمن سياقاتها التي أُفرزت كنتيجة حتمية لجملة من المعطيات وقصد إعادة أقلمة هذه النظريات النقدية المختلفة في التربة العربية، ليس كمصطلحات نقدية لا تتعدى بناها اللغوية مرتبطة بمضامين وتوجهات نقدية معينة فحسب، وإنما بصفتها جزء مهما من بنية ثقافية تتعالق خيوطها ضمن نسيج حضاري شامل، وجب الوقوف على ظروف الانتقال والهجرة من الغرب إلى الشرق.

ثم إن فهم التحولات التي عرفتها الساحة النقدية العربية يقتضي التعرف على عوامل هذه التحولات، ورصد المعايير والآليات التي تم من خلالها هذا التحول، سواء على المستوى الفردي أي بالنسبة للنقاد العرب الذين عملوا على إرساء قواعد النقد الحديث، أم على المستوى العام للمنظومة الفكرية والنقدية في المجتمعات العربية وعلاقتها بالآخر.

يمكن تقسيم هذه المؤثرات التي ساهمت في انتقال التيار الغربي عموما - فكرا وفلسفة وأدبا ونقدا إلى قسمين؛ مؤثرات داخلية تنبع من خصوصية الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للوطن العربي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومؤثرات خارجية كان للغرب اليد الطولى في توفيرها وتوفير أسباب وجودها.

2: المؤثرات الداخلية:

ترتبط المؤثرات الداخلية بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها البلاد العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كالإصلاحات السياسية والإدارية، وتأسيس الأحزاب والجمعيات، مما أدى إلى تغيير وتجديد البنى التحية الداخلية لبعض البلدان العربية وفي مقدمتها مصر ولبنان، والتي انعكست على الرؤية الفكرية والحضارية لبعض رواد المشروع النهضوي العربي. وقد تضافرت مجموعة من المؤثرات التي أسهمت في انفتاح الوطن العربي على الثقافة الغربية، بكل ما تحمله من محمولات أيديولوجية وفكرية، عملت على تشكيل العقل العربي وفق منظومة مختلفة تماما، تنهل

من إنجازات الحضارة الغربية الثقافية وحين نقول الإنجازات الثقافية فإننا نعني المفهوم العام للثقافة بوصفها مجموع النظم الاجتماعية والإنجازات الفكرية أو الأدبية أو الفنية أو التكنولوجية التي تجعل من المجتمع مجتمعا متناسقا منسجما له خصوصياته ومقوماته المتفردة.

وتتمثل المؤثرات الداخلية التي ساهمت في انتقال التيار الغربي في البعثات إلى الخارج، والمدارس والمعاهد والجامعات، والصحافة والإعلام، والطباعة والنشر، والمعارك والخصومات الأدبية والنقدية، والترجمة.

1.2- البعثات إلى الخارج:

أدرك نابليون بعد وصول بوارجه إلى البقاع المصرية ضرورة وجود إطارات تتقن اللغة الفرنسية لتسهم في تسيير الشؤون الإدارية للبلاد، وتمحو الفجوة الحاصلة بين المواطن والإدارة فلجأ إلى تكوين نخبة من المصريين بإرسالهم في بعثات إلى فرنسا، وقد ازدادت هذه البعثات في عهد محمد علي من بعده، وكانت الإرساليات في البداية مقتصرة على فرنسا، ولكنها توسعت فيما بعد لتشمل إنجلترا وغيرها من الدول الأوروبية.[1] فقد أرسل محمد علي إحدى عشرة بعثةً, آخرها سنة 1847، وكان شديد العناية بأعضاء البعثات, يتقصى أنباءهم، ويشرف على دراستهم باهتمام، ويكتب لهم من حينٍ لآخر رسائل يستحثهم فيها على العمل والاجتهاد، وينبههم إلى واجباتهم؛ وذلك لشدة حاجته في نهضته إلى من يقف بجانبه، وينفذ مشروعاته الضخمة، وقد ذكر رفاعة الطهطاوي نموذجًا من الرسائل التي وجهها محمد علي إلى طلبة البعثات، ويوبخهم فيها على تقصيرهم، ويحثهم على الاجتهاد، وبتعجلهم في قطف ثمار تحصيلهم.

كان لهذه البعثات كلها أثرٌ بالغٌ في تقدُّم مصر ونهضتها، وإرسال نور العلم دافقًا قويًّا في ربوعها، كما كان لها أعظم الفضل في إحياء اللغة، وجعلها مسايرةً للعلم الحديث، بما ترجم أعضاؤها من كتبٍ, وما أدخلوه من مصطلحات، وما ألفوه في شتَّى نواحي العلم. [2] وكان لا بد لهذا الاحتكاك بحضارة أخرى وثقافة أخرى وأدب آخر أن يغير نظرة هؤلاء إلى الحياة الفكرية والأدبية في بلدانهم فيقيمون المقارنات، ويقفون على نقاط الاختلاف والتشابه ويقيمون مواطن الضعف والقوة. "وكان مجرد إطلاع هؤلاء المبعوثين على ما لدى الغرب من مؤلفات في الأدب والنقد كافيا ليجعلهم ينظرون إلى الأدب والنقد العربي بمنظار جديد، ويعملوا على الوصول بالأدب والنقد في الوطن العربي إلى ما وصل إليه في أوروبا، حتى وإن لم يكونوا متخصصين في الأدب والنقد" [3]

و كان لهذه البعثات دور واضح في هجرة مدرسة النقد الجديد إلى البلاد العربية من خلال روادها الأوائل، فقد تخرج رشاد رشدي في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) عام 1935م وفي أواخر الأربعينيات سافر في بعثة إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، وكان موضوع رسالته "أدب الرحلات" الذي سجله الرحالة الإنجليز إلى الشرق عامة ومصر بخاصة. وسافر محمد زكي العشماوي إلى إنجلترا سنة 1952، ليعود متحصلا على درجة الدكتوراه من جامعة

لندن، عن "النقد الأدبي حتى القرن الخامس الهجري" مع العناية الخاصة بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني[4].كما تحصل محمود الربيعي على الدكتوراه من جامعة لندن سنة 1965.

أما جبرا إبراهيم جبرا فقد درس أول مرة بجامعة إ كستر Exeter كمرحلة أولى قصد تحقيق شروط الالتحاق في تخصص الأدب واللغة الإنجليزية، ثم التحق بجامعة كمبريدج ليتخرج فيها عام 1943 بشهادة الليسانس في الأدب الإنجليزي، والماجستير في الأدب من الجامعة نفسها. وفي سنة 1952 يعود جبرا ليواصل الدراسات العليا بجامعة هارفارد Harvard University ودخل توفيق صايغ الجامعة الأمريكية في بيروت (1941- 1945) وحصل منها على الليسانس في الأدب الإنجليزي، وأكمل دراسته في جامعة هارفرد (أدب إنجليزي) بأمريكا، ثم في جامعة كمبردج في إنجلترا، ما بين عامي 1962و1967 متخصصا في دراسة الأدب العربي.

أما عبد الواحد لؤلؤة فبعد التحاقه بكلية التربية ببغداد واختياره للدراسة بقسم اللغة الإنجليزية سنة 1952، وحصوله على شهادة الليسانس بدرجة مشرف باللغة الإنجليزية، أرسل في بعثة علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية فنال الماجستير من جامعة هارفرد سنة 1957، والدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة ويسترن رزرف Western Reserve سنة 1960 .ثم عاد إلى العراق فعين مدرسا بكلية الآداب بجامعة بغداد ثم في كلية اللغات بجامعة بغداد وكذلك، ثم سافر إلى الأردن ليعمل أستاذا في الأدب الإنجليزي بكلية الآداب جامعة اليرموك منذ سنة 1983 وبعد أن انتهى عقده مع هذه الجامعة انتقل إلى جامعة فيلادليفيا بعمان.

كما استطاع طلبة رشاد رشدي التفوق في الجامعات الغربية، ليعودوا محملين بمعارف أكبر ووعي أعمق بأصول النقد وخصائصه؛ فعاد سمير سرحان حاملا درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة إنديانا 17 أكتوبر - 18 أكتوبر Indiana University الأمريكية عام 1968 ولم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره. وفي العام نفسه عاد عبد العزيز حمودة حاملا نفس الدرجة من جامعة كورنيلCornell University بنيويورك ولم يتجاوز التاسعة والعشرين.[5] وقضى ماهر شفيق فريد أربع سنوات ببريطانيا في بعثة حصل أثناءها على شهادة الماجستير من كلية رويال هولوواي كولدج Royal Holloway College بجامعة لندن، وحصل نبيل راغب على ليسانس الآداب من كلية الآداب جامعة القاهرة قسم الأدب الإنجليزي وشهادة الدكتوراه من جامعتي القاهرة ولانكسترLancaster University بإنجلترا. وتم تعيينهم في قسم اللغة الإنجليزية بالجامعة، ليواصلوا مشوار أستاذهم.

2.2- المدارس و الجامعات :

كان للمدارس والمؤسسات التعليمية أثر في ترقية المعارف الأدبية، ونشر التوجهات النقدية الأوروبية الجديدة، ويؤكد لويس شيخو هذا الأثر بقوله: "ومن الأسباب التي ساعدت أيضا في تلك المدة على اتساع المعارف الأدبية وارتقاء اللغة العربية ما أنشئ في الشرق من المدارس بهمة أصحاب الخير" [6]

أنشئت في مصر كلية دار العلوم، وقصد بعض الناس من إنشائها أن تكون منافسة للأزهر الذي رفض- إذ ذاك- قبول التعليم الحديث، فكونت دار العلوم تكويناً حديثاً جمعت فيه ما لم يجتمع في الأزهر- حين ذاك - وقد ضمت الآن إلى جامعة القاهرة، كما ضمت مدرسة الألسن إلى جامعة عين شمس.

ثم دخل العالم العربي عصر الجامعات – ولو كان ذلك متأخرا بالنظر إلى الجامعات الأولى بأوروبا- [*]، فأنشأت مصر جامعة الملك فؤاد التي تغير اسمها فيما بعد إلى جامعة القاهرة، ثم تتابع فيها إنشاء الجامعات في القاهرة، والإسكندرية، وأسيوط، والمنصورة، وغيرها.

وأنشئت جامعة دمشق بعد ذلك بزمن، ثم تتابع إنشاء الجامعات في العالم العربي، كما انتشرت المدارس الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، والمعاهد المختلفة، في المدن والقرى في جميع البلاد.

ومن هذه المدارس نجد مدرسة طمسن الإنجليزية والمدرسة الأمريكية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1866م، وقد درست فيها العلوم والآداب المختلفة، وتخرج فيها كثير من أعلام النهضة العربية [7]

أسس البروتستانت سنة 1835 في بيروت أول مدرسة للبنات وفي سنة 1846 أسسوا مدرسة لاهوتية في عبيه بسوريا، "وكانت الدروس العربية في هذه المدارس راقية، فإن منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم (التاسع عشر) وخصوصا النصارى"[8] كالمعلم بطرس البستاني صاحب قاموس "محيط المحيط" وموسوعة "دائرة المعارف" الشيخ ناصيف اليازجي صاحب عقد الجمان في علم البيان" ونجله إبراهيم اليازجي مؤسس مجلة الضياء ويعقوب صروف مؤسس مجلة المقتطف الرائدة ولويس معلوف واضع القاموس الشهير "المنجد في اللغة العربية والأب لويس شيخو مؤلف تاريخ الآداب العربية وغيرهم من المسيحيين الذين أسهموا بشكل كبير في ترقية اللغة العربية وفق مناهج المدارس المسيحية التي كانت تعطي حرية اختيار اللغة على عكس المدارس الحكومية في ظل الحكم العثماني التي كانت تدرس باللغة التركية لا غير. ومن المسيحيين الذين أسهموا في نقل النقد الجديد إلى الوطن العربي سواء من خلال التنظير أم الترجمة نجد الناقد والمترجم ماهر شفيق فريد الذي كان أحد تلامذة رشاد رشدي وعمل على نقل العديد من مقالات النقاد الإنجليز والأمريكيين، على غرار كتابه "مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث" وبخاصة المقالات النقدية للناقد ت. س إليوت.

3.2- الصحافة والإعلام:

كان للصافحة أثرها البارز وإسهامها الفاعل منذ نشأتها في بعث النهضة الثقافية العربية، من خلال بسط حقول التثقيف ومد ظلال التنوير وإعلاء منابر التوجيه في الوطن العربي. ووقفت الكثير من الصحف والمجلات جنبا إلى جنب مع المؤسسات التعليمية المختلفة، من مدارس ومعاهد وجامعات، ترسم طريقا للمعارف المتنوعة، وتشيد جسورا للوعي المعرفي والثقافي، مشرعة نوافذ على الذات تعرف بتراث الأمة وتطرح أسئلة تعمق الفكر وتوقظ الضمير، وفاتحة آفاقا على الآخر وعوالمه بما تقدمه من متابعات فكرية وعلمية وثقافية، فكانت بمثابة المنظار الذي يرصد حركة الذات والآخر ويقارن ويوازن

بين ما وصلا إليه ويحسب المسافة الفاصلة بينهما. هذه المهمة التي اضطلعت بها الصحافة ولازالت تجتهد من أجل بسط نفوذ الوعي والنقد والتحليل في أذهان الأجيال الجديدة التي ستحمل مشعل النهضة العربية. فكانت الصحافة وستظل بمثابة الروح للجسد بالنسبة للأمم والمجتمعات.

ومنذ (الوقائع المصرية) في مصر؛ أول صحيفة عربية، أصدرها محمد علي سنة (1828) والتي استمرت في الظهور إلى غاية أوائل القرن العشرين، وجريدة(المبشر) التي صدرت بالجزائر سنة (1847) من قبل الإدارة الفرنسية، توالى صدور العديد من الصحف والمجلات ببلدان الوطن العربي والتي أثثت للمشهد النقدي العربي في بداياته مثل "روضة المدارس" التي أنشأها علي مبارك سنة 1287 هـ / 1870م، وترأس تحريرها رفاعة الطهطاوي، وشاركه في تحريرها الشيخ حسين المرصفي، وحمزة فتح الله، وعبد الله فكري، وهم من رواد النقد يومئذ، و قد كان نشر كتاب "الوسيلة الأدبية" على حلقات هذه المجلة، كانت أولاها في أبريل 1871م.

ومن الصحف التي أثرت الحركة الأدبية والنقدية وأثرت جليا في ازدهار النقد الأدبي مع حلول القرن العشرين من خلال المواضيع التي طرحتها والقضايا الجديدة التي أثارتها "مجلة المقتطف" التي نشرت مقال يعقوب صروف حول مفهوم النقد الأدبي ، والتي ساهمت في نشر بعض المفاهيم الجديدة، حول مناهج دراسة الشعر والنثر ففتحت بذلك المجال واسعا أمام المجلات والصحف الأخرى التي سارت على هديها، كـ"مجلة الضياء" و"مجلة البيان" لإبراهيم اليازجي (1871). ففي مجلة الضياء نشر بحث طويل سنة 1899 حول الشعر وقضاياه والفرق بينه وبين النثر والمعاني الشعرية، و مذاهب المتقدمين و المتأخرين من الشعراء العرب، و غير ذلك من القضايا. كما نشر نجيب الحداد سنة (1898) مقاله الذي أشرنا إليه آنفا، يقابل ويقارن فيه بين الشعر العربي و الشعر الغربي في مجلة البيان. إلى جانب صحف عديدة أخرى نذكر منها " مصباح الشرق " التي أنشأها إبراهيم المويلحي، ليتوالى تأسيس المجلات التي اهتمت بالأدب والنقد كمجلة الكرمل، والآداب البيروتية، والحركة الشعرية، وألواح، ونزوى، وأوغاريت، والعربي، وأفق، وغيرها.

أما في العراق فهناك تجارب رائدة حافلة بالنجاح لمجلات أدبية كان لها أثر كبير على تطور وانتقال الأفكار والمناهج ؛ فقد ظهرت مجلة (الثقافة الجديدة) كأول مجلة فكرية في أوائل الخمسينيات، واهتمت بعض صفحاتها بالناحية الأدبية والنقدية، وفي الستينيات ظهرت مجلة (الأديب المعاصر) التابعة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، ثم مجلة الأقلام التي اتسع نفوذها وازدادت قيمتها النقدية في سنوات الثمانينيات، وبخاصة بعد تخصيص أحد أعدادها لملف النقد الأدبي الحديث [9]، وكذلك من خلال تقديمها بعض الترجمات والكتب النقدية ككتاب جماليات المكان لغاستون باشلار Gaston Bachelardغير أن أهم مجلة اختصت بالترجمة وتقديم نصوص إبداعية من الآداب العالمية ونماذج في الفكر والنقد والفلسفة هي مجلة (الثقافة الأجنبية)، والتي لم تهمل النقد الأدبي ومناهجه المتعددة فخصصت له مساحة معقولة من أعدادها. إضافة إلى مجلة (آفاق عربية) التي أسسها الشاعر شفيق الكمالي في السبعينيات والتي اهتمت بالنقد والأدب خاصة بعد تولي الناقد محسن جاسم الموسوي رئاسة تحريرها.

أما فيما يتعلق بالنقاد الجدد فقد كانت لهم المجلات منابر مهمة للتبشير ونشر منهج النقد الجديد، فرشاد رشدي ترأس تحرير ثلاث مجلات هي مجلة بناء الوطن، ومجلة المسرح، ومجلة الجديد، وحاول من خلالها ترسيخ النظرة الموضوعية للفن والأدب وبث وعي نقدي في الأوساط الأدبية والتعليمية والجماهيرية ينبع من رؤيته الشاملة للإبداع والنقد وفق منظور النقد الجديد. كما ترأس الناقد عبد العزيز الدسوقي صاحب منهج الرؤية الفنية مجلة "الثقافة" التي أسسها يوسف السباعي. أما سمير سرحان، فقد ترأس تحرير مجموعة من المجلات مجلة "المسرح" عام 1985 مجلة "إبداع" من عام 1982 ومجلة "الفنون الشعبية" من عام 1990 ومجلة "عالم المكتبات" ومجلة "علم النفس" من عام 1995، إضافة إلى مجلة "فصول" التي تولى رئاسة تحريرها عام 1985.

4.2- المعارك والخصومات النقدية والأدبية:

إن المعارك الأدبية والنقدية وبالرغم من المحمولات السلبية للمصطلح تفرز الكثير من التيارات وتميط اللثام عن كثير من المفاهيم التي يشوبها الغبش و يسربلها اللبس والغموض في الأوساط الثقافية والفكرية، وتمثل "المعارك الأدبية" قطاعًا حيا من قطاعات الحياة الفكرية في الأدب العربي له خطورته وأهميته في مجالات النثر والشعر واللغة العربية والقومية العربية ومفاهيم الثقافة ونقد الكتب[10] وظهورها في مجتمع ما وفي فترة زمنية ما ظاهرة صحية، تنبئ باحتدام الصراع بين التيارات الفكرية والمناهج والمذاهب الأدبية، وتوحي بازدهار الحياة الثقافية وترتبط بميلاد أسماء ثقافية تشكل قمم الفكر والأدب.

ولعل احتدام الصراع بين تياري القديم والارتباط بالموروث التراثي للأمة والجديد وانفتاحه على الوافد من الغرب من أهم بواعث ظهور هذه المعارك في الوطن العربي وفي مصر تحديدا. فطفت على الساحة جماعات تأرجحت في عمومها بين مصطلحي الأنا والآخر، المصطلحان اللذان فجرا جملة من المصطلحات الثنائية الأخرى كمصطلحي: الأصالة والمعاصرة، والمحافظين والمجددين، والتراثيين والتعريبين، وغيرها. هذه الثنائيات أدت على تفجير خصومات ومعارك كان الأثر الكبير في التعريف ببعض الاتجاهات الأدبية والنقدية، وكان النقد الجديد أحد هذه المدارس التي شنت بخصوصها المعارك واشتعلت لأجلها الخصومات.

ومن أبرز المعارك النقدية تلك المعركة التي دارت حول مفهوم النقد الأدبي، وموقفه من العمل الفني، بين الدكتور محمد مندور والدكتور رشاد رشدي عام 1961 واستمرت ذيولها حتى عام 1964. وتشكلت على إثر هذه المعركة، وبسببها جمعيتان نقديتان، تضم كل منهما معسكرا من النقاد، له موقف متجانس من هذه القضية الكبيرة، أولاهما (جماعة النقاد العرب) وتضم محمد مندور، ولويس عوض، وعبد القادر القط، ومحمد القصاص، ومصطفى ناصف، وأنور المعداوي، وفؤاد دوارة وإبراهيم حمادة وغيرهم، وترى هذه الجماعة أن للعمل الأدبي محتوى فكريا، وموقفا سياسيا، ومن القضايا المثارة في واقعه، وان العلاقة بين شكل العمل الفني ومحتواه علاقة جدلية لا تنفصم عراها.[11]

أما الثانية فهي (جمعية النقاد) وتضم رشاد رشدي وعددا من تلاميذه مثل سمير سرحان ومحمد عناني وفاروق عبد الوهاب وعبد العزيز حمودة وآخرين وتنادي هذه الجمعية برأي إليوت في المعادل الموضوعي وتهتم بمبنى العمل الفني دون معناه، بل تقول بانفصالهما. ولا ترى أن من حق الناقد التعامل مع أي من الإطارات المرجعية الخارجة عن العمل الأدبي، وإنما لا بد من التعامل معه من داخله، والاهتمام به ككيان مستقل، دون أية محاولة للوصول إلى محتواه. لأن أي محاولة لتحميل العمل الفني بمحتوى فكري، أو اجتماعي، ليست إلا نوعا من الإسقاط المستهجن.[12]

واستمرت هذه المعارك على مدى سنوات يخفت وهجها حينا ويشتعل حينا آخر فقد "عاودت عدة مرات وخلف أقنعة متغيرة دائما. فظهرت مرة تحت شعار مسرح اللامعقول ومدى حاجتنا إليه عقب افتتاح "مسرح الجيب" بالقاهرة عام 1963. ثم هرت مرة أخرى تحت قناع مذكرة "لجنة الشعر" بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، عندما حاولت مصادرة الشعر الحديث عام 1964. ثم ظهرت مرة ا ثالثة في المعركة التي دارت حول حق الشاعر في التعبير عن أحزانه وأشواقه وهمومه، في مجتمع يبني السد العالي، أو ينحو نحو الاشتراكية، والتي دارت حول ديوان صلاح عبد الصبور (أحلام الفارس القديم) عام 1964،[13] وشارك فيها عدد كبير من النقاد مثل محمود أمين العالم، ولويس عوض، ومعين بسيسو، وفاروق خورشيد، ومحمد النويهي، وعز الدين إسماعيل وغالب هلسا، وصبري حافظ نفسه.

وإذا كان تجدد هذه المعارك دليلا على حيوية الحركة النقدية، فإنه كان تعبيرا عن ظهور قوى نقدية جديدة، ورؤى نقدية خصبة، تحاول أن تعيد تقييم المسلمات الأدبية، وأن تطرح على الواقع الثقافي مفاهيمها ورؤاها. وقد تمثل هذا بأجل صورة، في ظهور جيل جديد من النقاد، يواصلون رسالة الجيل السابق، ويكملون معم المسيرة.[14]

وعندما وجد رشاد رشدي أن البحيرة النقدية على وشك أن تصبح آسنة متحجرة على المفاهيم القديمة، أثار معركة أدبية ونقدية في أواخر 1960 وشهر سيفه النقدي اللامع كمحارب لا يشق له غبار، وصنع من تلاميذه برغم صغر سنهم، كوكبة من الفرسان تتحدى أعتى النقاد الكبار وفي مقدمتهم محمد مندور ولويس عوض وعبد القادر القط وأنور المعداوي.[15]

ودارت رحى المعركة ليس فقط في المجلات المتخصصة وإنما على صفحات الصحف اليومية بحيث تابعها القارئ العادي الذي تفتحت عيناه على مفاهيم وقيم نقدية جديدة،[16] وبالرغم من سوء تقدير خلفيات هذه المعارك وغاياتها من قبل الساحة الأدبية المصرية، وعدم استيعاب كل حيثياتها إذ أنها لم تفهم الفهم الصحيح واعتبرتها الغالبية العظمى من الجمهور "معركة بين مذهب الفن للفن بقيادة رشاد رشدي وتلاميذه وبين مذهب " الفن للحياة" بقيادة محمد مندور وغيره من كبار النقاد"[17]

وذكر محمد مندور بعضا من حيثيات هذه المعارك في عدة مقالات من كتابه(معارك أدبية) على غرار "الغمز واللمز في آراء رشدي" و"هل عاد رشاد رشدي إلى الرشد بأن الفن في خدمة المجتمع" " و"الشكل والمضمون" و" أول رابطة للنقاد العرب" وغيرها، محاولا التصدي لمقولات رشاد رشدي حول موضوعية الأدب وأهمية الشكل الفني وغيرها من الآراء مبرزا الوظيفة الاجتماعية للأدب حيث يقول متخذا موقفه

بوضوح: "من واجبنا كنقاد أن ننقد الأعمال الأدبية على أساس نوع الوظيفة التي يريد العمل الأدبي المنقود أن يؤديها للمجتمع أو للإنسانية كلها"[18]في حين رشاد رشدي كان في الضفة المقابلة تماما وانتقد هذا الموقف معتبرا إياه موقفا ينحو نحو الإفلاس والانحطاط بينما كان رشاد رشدي أنه ليس من واجبنا ولا من حقنا أن ننقد العمل الأدبي من خارجه أي وفقا لما نستشعره من حاجات المجتمع التي يجب على الأدب أن يلبيها حتى لأذكر أن الدكتور رشاد أن يخرجني من زمرة النقاد جميعا لأنني أنقد الأعمال الأدبية من خارجها في حين أنه يرى أن يقتصر الناقد على النظر في العمل الأدبي كما هو ليتبين هل له بدء ووسط ونهاية فيحكم له بالجودة والامتياز أو بالضعف والانحطاط"[19] وحول الشكل والمضمون يشير مرة اخرى مندور إلى آراء رشاد رشدي مركزا على أسبقية المضمون على الشكل إذ يقول: "إن ما نحتاجه اليوم هو البحث عن الموضوعات التي نستطيع أن نشحنها بمضمونات تغذي القيم الجديدة الآخذة في الانبثاق في مجتمعنا لا تركيز اهتمانا كله على التجديد الفني، وإلا أعدنا لأدبنا عصر الانحطاط والإفلاس التي تستتر خلف الزخارف اللفظية الخاوية"[20]

لم يقتصر هذا الفهم كما يشير الدكتور نبيل راغب على محمد مندور فحسب بل تعدى ذلك إلى النخبة المثقفة من النقاد والكتاب المصريين، ومن هؤلاء الذين حاولوا أن يرسخوا فكرة أن الناقد رشاد رشدي في طروحاته النقدية يتبنى مذهب الفن للفن الناقد الدكتور لويس عوض الذي راح يؤكد في ندوة مجلة فصول في النقد الأدبي التي خصصت في عددها الثاني لموضوع "اتجاهات النقد الأدبي" وشارك فيها إلى جانبه كل من عز الدين إسماعيل ومجدي وهبة وجابر عصفور وسامية أسعد: "وهناك مدرسة الفن للفن التي كان يمثلها الدكتور رشاد رشدي الذي جمع حوله مجموعة من النقاد الشبان وأذكر أن الدكتور مندور زارني وقتها في مكتبي في الأهرام وكان بادي الانزعاج وطلب مني الانضمام إلى جمعية النقاد التي كونها للرد على هذه المدرسة التي ظاهرت فكرة الانطباعية وهاجمت المنهجية، ورأت أن نقد الفن أو الأدب يكون بمدى تأثيره عليك دون محاولة لتأصيل أبعد من ذلك، هذه المدرسة شغلت حيزا في وقت من الأوقات ولا يزال لها تلاميذ"[21] وقد حاول الدكتور مجدي وهبة الدفاع عن رشاد رشدي حيث عد رؤية وتصور رشاد رشدي ما هو في الحقيقة إلا انطلاقا من فكرة أن مدرسة النقد الجديد "تمارس نقدا تطبيقيا."[22]

ويذكر الدكتور محمد عناني بعض تفاصيل هذه المعركة في الجزء الأول من سيرته الذاتية الموسومة بواحات العمر فيقول: "ولكن عام 1964 لم يطو صفحته دون المعركة المتوقعة بين أنصار "النقد الجديد" وأنصار "النقد القديم"، فكانت المقالات في الصحف تتوالى تأييدا لهذا المذهب أو ذاك، واطلق على المعركة آنذاك معركة رشاد رشدي ومحمد مندور أو "الفن للفن" الشعار الذي فرض علينا ولم نقل به مطلقا و"الفن والمجتمع"[23].

وما جعل الدكتور محمد عناني يعلن براءة أنصار النقد الجديد من طبيعة هذه المعركة والمتمثلة في فكرة الفن للفن مقابل الفن والمجتمع، هو أن الساحة الأدبية والنقدية المصرية قد عرفت نقاشا حاد يشبه في جوهره النقاش الذي دار بين رشاد رشدي وهو تلك المعركة التي نشبت بين الرافعي وطه حسين

سنة 1923 والتي تكررت في ثوب جديد ومع ممثلين جدد بعد 41 سنة، والتي كانت معركة " مفاهيم الأدب كما أطلق عليها أنور الجندي، وهي معارك تدور حول بعض من القضايا المتعلقة بماهية الأدب وغايته غاية الأدب "واتصلت بالأسلوب والمضمون، والفن للفن والفن للمجتمع"[24]

وكانت الشرارة التي أطلقت هذه المعركة يضيف محمد عناني "قصة سوفييتية موسومة بليلة الميلاد لصاحبها إيغور بافلوفيتش كانت قد نشرها إحدى المجلات.... وهلل لها النقاد الذين كانوا يزعمون أنهم يمثلون اليسار باعتبارها المثل الأعلى للأدب الهادف"[25]. وهكذا كانت هذه المعارك أحيانا تخرج عن مسارها الحقيقي، بين مؤيد ومعارض للتجاوز المجال الثقافي وهذا ما جعل غالي شكري يصف هذه المعارك بين رشاد رشدي وخصومه على "معارك سياسية اجتماعية، وإن اتخذت من النقد الأدبي ستارا... رغم أن الذين كان يحاربهم كانوا في قمة السلطة الثقافية"[26] وهو الرأي الذي ذهب إليه الدكتور ماهر شفيق فريد في دراسته «فن الأدب بين الالتزام الاجتماعي والوظيفة الجمالية» الذي يقول: "حين ننظر بعد أكثر من أربعين عاماً إلى حصاد معركة الدكتور محمد مندور والدكتور رشاد رشدي الشهيرة حول طبيعة الأدب ووظيفته؛ نجدنا منتهين إلى نتيجة مؤداها أنها لم تكن بعمق معارك الدكتور محمد مندور مع زكي نجيب محمود ومحمد خلف الله وغيرهما، حيث إن طرف الخصومة رشدي لم يكن من قامة هؤلاء الرجال، ولا يملك جديتهم وتنزههم عن الغرض، وإنما كان يسعى إلى توطيد مكانته في الحياة الأدبية وخلق معارك لافتة للنظر. ومع ذلك، آتت المعركة بعض ثمار نافعة، كتوضيح بعض مفهومات النقد، ووضعه في بؤرة أشد سطوعاً تلك المعضلة الأبدية: معضلة التوفيق بين استغلال الأدب من حيث هو فن جميل، ووظائفه الاجتماعية، ودوره في خدمة المجتمع.

وإضافة إلى معارك رشاد رشدي فإن زكي نجيب محمود أيضا وقصد ترسيخ هذا التوجه نحو دراسة النص الأدبي واعتماد الروح العلمية في قراءة أبعاده أشعل بدوره فتيل حرب نقدية بينه وبين الدكتور محمد مندور سنة 1948، - خصومة نقدية تذكرنا بتلك التي قامت بين رايمون بيكار ورولان بارث، واحتدم الصراع بينهما حول المنطلق الذي يبنى عليه النقد والقاعدة التي يرتكز عليها، هل هي الذوق أم العلم؟ "فبينما كان مندور يرى أن النقد ليس علما، وما ينبغي أن يكون، وأن قوام النقد ومرجعه كله إلى التذوق، وأن للنقد الشخصي الكلمة العليا في نقد الفنون. كان زكي نجيب محمود يرى أن النقد علم، مرجعه إلى العقل لا الذوق" [27]

إن المعارك النقدية التي قادتها مدرسة النقد الجديد بالوطن العربي ولخاصة بالبلاد المصرية، على مدار أكثر من عقدين من الزمن، ساهمت في احتلال مكانة مرموقة بين المدارس النقدية الأخرى، ولعلها المدرسة الوحيدة التي أذكت وهج النقد من خلال هذه الخصومات، ولا أحسب عبد العزيز حمودة مخطئا حين أعلن: "ولا أظن أن مدرسة نقدية استطاعت أن تثير في مصر من الجدل، وأن تغذي العديد من المعارك النقدية مثلما فعلت مدرسة النقد الجديد"[28]

5.2- الترجمة:

الترجمة مسرب مهم في تواصل الثقافات وتلاقحها، بل هي من أهم مسارب الفكر الغربي إلى الثقافة العربيّة، ونوافذ انفتاحها على الآخر، منها تطل الشعوب على المنتج الثقافي والنقدي لبعضها البعض، وتتجول في مرابعها الفكرية وتتواصل مع نظرياتها الفلسفية. ولقد كان لحملة نابليون -الأثر البارز في التعرف على المنتوج الغربي، وتم نقل العديد من مفاهيم ونظريات الغرب إلى الشرق، بدء بالنظريات السياسية و شؤون الحكم وانتهاء بالنظريات الفلسفية والأدبية والنقدية.

وهكذا وكنتيجة منطقية لتلك الرحلات والبعثات العلمية والتعليمية التي ازدهرت كما أشرنا سابقا برزت الترجمة عاملا لبعث النهضة العربية من خلال انتقال المناهج والنظريات الغربية، وكما يقول منير البعلبكي." فكلّ عصر نهضة يبدأ بالترجمة "[29] انطلقت حملة نقل العلوم والآداب والمناهج والمذاهب الحديثة إلى اللغة العربية في إطار حركة تجديدية تنويرية منظمة وفق برامج منظمة واستراتيجية واضحة من خلال مشروع محمد علي لإرساء قواعد دولة حديثة ومن خلال تأسيس المدارس الخاصة كمدرسة الألسن والترجمة سنة(1835) وتمت ترجمة عديد الكتب في شتى مناحي الحياة العلمية والأدبية؛ في العلوم الطبيعية والرياضيات والاقتصاد والأدب، لتعطي هذه الحركة حياة جديدة غامرة ببذور التلاقح الحضاري، ولتسهم في انبعاث حركة أدبية ونقدية حقيقية مع حلول السنوات الأولى للقرن العشرين.

وقد قدم ثلة من المترجمين العرب أعمالا غزيرة متنوعة مثل: مصطفى بدوي، وسعيد الغانمي، وجبرا إبراهيم جبرا، ويوسف عبد المسيح ثروة، وإحسان عباس، ومحمد برادة، وماهر شفيق فريد،. وقد تركّزت جل جهودهم على ترجمة الموضوعات المتصلة بالنقد الأدبي مثل: المناهج النقدية و نظرية الأدب. كما ساهمت بعض الهيئات دون غيرها بنصيب واضح في الترجمة كالهيئة المصرية العامة للكتاب في مصر، ووزارة الثقافة في سوريا، ودار الشؤون الثقافية العامة، ودار المأمون في بغداد، ودار عويدات في بيروت، ثم ظهرت بعض الدوريات المتخصصة في نشر المترجمة، مثل: مجلة الآداب الأجنبية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ومجلة الثقافة الأجنبية في بغداد، ومن خلال ترجمة هذه الكتب والنصوص تعرف الناقد العربي والمبدع العربي على كثير من المذاهب الأدبية والمدارس النقدية.

ونظرا لأهمية بعض الهيئات والمدارس في حركة الترجمة بمصر والوطن العربي سنتطرق إلى بعضها قصد إبراز الدور الذي قامت به.

أ- . لجنة التأليف والترجمة والنشر:

في الربع الأول من القرن العشرين ازدهرت الترجمة من جديد بعد تأسيس لجنة التأليف والنشر والترجمة سنة 1914، وهي اللجنة التي تولى رئاسة تحريرها الكاتب أحمد أمين أربعين سنة لأي إلى غاية 1954 تاريخ وفاته، وضمت مجموعة من الأسماء اللامعة في مجال الكتابة والترجمة نذكر من بينهم الأستاذ محمد بدران الذي ترجم الموسوعة الكبيرة "قصة الحضارة"The Story of Civilization لـوِل

جيمس ديورانت William James Durant والذي بلغ عطاؤه في الترجمة والمراجعة أكثر من 45 كتابا في الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي، إلى جانب عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين والفيلسوف زكي نجيب محمود وعبد الهادي أبوريدة وغيرهم.

وكانت تهدف إلى الارتقاء بالتعليم والنهوض بكل مجالات المعرفة من خلال التأليف والترجمة ابتداء بالكتب التعليمية التربوية وانتهاء بكتب النقد والفكر والفلسفة وعملت هذه اللجنة على تقديم ذخائر الفكر الغربي مترجمة.

ومن الأعمال في الأدب كتاب "قصة الأدب في العالم" من تأليف أحمد أمين وزكي نجيب محمود في ثلاثة أجزاء، وقد عرضوا فيه نماذج من آداب العالم كالأدب الفرعوني والأدب الصيني والأدب الإنجليزي وغيرها من الآداب.

ومن الكتب النقدية كتاب "قواعد النقد الأدبي" الذي وضعه الناقد الإنجليزي لاسل آبركرومبي Lascelles Abercrombie وترجمه محمد عوض محمد، والذي يقدم نظرة عامة حول نشأة النقد الأدبي منذ كتاب فن الشعر أرسطو، وصولاً إلى الإرهاصات الأولى التي شكلت ملامح النقد الحديث، ومجموعة من أمهات الكتب العلمية والأدبية والتربوية. وقد ساهم عمل اللجنة في إفراز جيل متمكن من المترجمين العرب، ووضع قواعد لتعريب المصطلحات العلمية المترجمة أو تقريبها من العربية. دون نسيان التراث العربي حيث قامت بشرح ما يزيد عن 200 كتاب مطبوع من كتب التراث الفكري العربي. هذا إلى جانب تأسيس "مجلة "الثقافة سنة 1939 والتي استمر عطاؤها أربع عشرة سنة، وقد اتبعت مجلة الثقافة منهج عرض بعض المذاهب والتيارات السياسية الجديدة. كما أنها عملت على تشجيع التيار الاجتماعي في مجال الأدب والمسرحية وفن الرواية بالإضافة إلى أنها اهتمت بالأصالة والتنوير.[30]

أما في لبنان والتي تعد مركزا مهما من مراكز النهضة العربية ونقل العلوم والآداب الغربية إلى الوطن العربي، فإن السبب المباشر في تطور الترجمة في وقت مبكر يعود إلى إنشاء الجامعة الأمريكية سنة 1866م، حيث كانت في البداية تستعمل اللغة العربية لغة للتدريس فاضطر مدرسوها إلى ترجمة عدد من الكتب إلى العربية وكذلك فعل أساتذة المعاهد الأخرى. [31]

وكان اللبنانيون من أوائل الذين قاموا بترجمة القصص والروايات الأجنبية وأشهر هؤلاء الأوائل، مارون النقاش المتوفي سنة 1855م، وسليم النقاش ونقولا فياض وخليل مطران وغيرهم[32] وكانت الصحف والمجلات تحمل إلى القراء هذه الترجمات، وأشهرها مجلة المقتطف التي أنشئت سنة 1876 في بيروت، ثم انتقلت إلى مصر في السنة التاسعة. [33]

كما كان لسلسلة عالم المعرفة، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت دور بارز في نقل عدد لا بأس به من الكتب الفكر والنقد، ككتاب الشفاهية والكتابية لوالتر ج أونج ترجمة حسن البنا عز الدين وكتاب "البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى جاك دريدا" لجاك ستروك وترجمة محمد عصفور وغيرهما.

وكان للعراق حظ وفير في ترجمة كتب غاية في الأهمية فعلى سبيل الذكر لا الحصر ترجم سعيد الغانمي: العمى والبصيرة لدي مان، المجمع الثقافي، الإمارات، 1995 و السيمياء والتأويل لروبرت شولز، المؤسسة العربية، بيروت، 1995. والنظرية الأدبية المعاصرة لرومان سلدن، المؤسسة العربية، بيروت، 1996. وفلسفة البلاغة لريتشاردز، بالاشتراك مع ناصر حلاوي، بيروت، 1999. والوجوه والزمان والسرد/ بول ريكور، المركز الثقافي، الإمارات، 1998. وشعرية التأليف/ بوريس أوبنسكي، بالاشتراك مع ناصر حلاوي، 1998. وترجم حسن ناظم بالاشتراك مع علي حاكم: ست محاضرات في الصوت والمعنى لرومان ياكوبسون، المركز الثقافي، بيروت، 1994. ونقد استجابة القارئ لجين تومبكنز، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1999. والاتجاهات الأساسية في علم اللغة لرومان ياكوبسون، المركز الثقافي، بيروت، 2002. ونصيّات بين الهرمونطيقا والتفكيكية لهيو سلفرمان، المركز الثقافي، بيروت، 2002. وبداية الفلسفة لغادامير، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، 2002. والقارئ في النص لسوزان سليمان وانجي كروسمان، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2007. و طرق هايدغر لغادامير، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2007. والحقيقة والمنهج لغادامير، دار أويا- طرابلس –ليبيا ط1 2007.

وترجم فلاح رحيم محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا لبول ريكور، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002. و الذاكرة في الفلسفية والأدب لميري ورنوك، والزمان والسرد لبول ريكور، بالاشتراك مع سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2007. في ثلاثة مجلدات.

وحسب الدكتور زكي نجيب محمود في جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ السادس من جويلية 1976، فإن مجموع ما ترجم بين سنتي 1948 و1968 كان 1000 كتاب في الأدب و500 كتابا في الدين و500 كتاب في الأنواع الأخرى ليكون مجموع ما ترجم خلال عشرين سنة 2000 كتابا.

وكان حظ النقاد الجدد العرب وفيرا في هذا المجال، و مساهماتهم واضحة جلية من خلال ما قدموه للمكتبة العربية، فقد ترجم جبرا إبراهيم جبرا في العراق عددا من كتب النقد المهمة على غرار أدونيس أو تموز(من كتاب الغصن الذهبي)؛ لجيمس فريزر، وما قبل الفلسفة لهنري فرانكفورت وآخرين، وآفاق الفن- لالكسندر إليوت. - الأديب وصناعته- عشرة نقاد أمريكيين، - الحياة في الدراما- أريك بنتلي. - الأسطورة والرمز- عدد من النقاد. إضافة إلى عديد الكتب الإبداعية شعرا وقصة ورواية.

وإلى جانب جبرا إبراهيم جبرا نجد عبد الواحد لؤلؤة الذي ترجم عدداً من كتب النقد الإنجليزي، أهمها موسوعة المصطلح النقدي، وزكي نجيب محمود الذي نقل إلى العربية كتب كثيرة ك" آثرت الحرية" لرافتشنكو ونشأة الحضارة لول نيورانت 1950 نظرية المعرفة 1956 وتاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل وغيرها من كتب الفكر والفلسفة والإبداع، و ترجم كل من رشاد رشدي، ومحمد عناني، ومحمد القصاص، وماهر شفيق فريد في إطار مهرجان القراءة للجميع وإشراف سمير سرحان: المختار من أجمل القصص العالمية لكل من غي دو موباسان وأنطون تشيكوف وأرنست هيمنغواي وفيرجينيا وولف واسكار وايلد، وبول باولز. وترجم محمود الربيعي كتاب "حاضر النقد الأدبي" مقالات في طبيعة الأدب، وترجم فايز إسكندر مؤلف ريموند وليمز "المسرحية من إبسن إلى إليوت"

أما بخصوص المؤلفات التي درست وارتبطت بمدرسة النقد الجديد، فبالرغم من تأخر ترجمة أمهات كتب هؤلاء الرواد وعدم ترجمة بعضها إلى غاية يومنا هذا كما هو الحال بالنسبة لكتاب جون كرو رانسم والموسوم بـ"النقد الجديد" والذي أدى إلى تأخر وصول النقد الجديد في نسخته الكاملة إلى الوطن العربي. فقد تمت ترجمة العديد من المؤلفات ذات العلاقة بالنقد الجديد، حيث ترجم ماهر شفيق فريد الكثير من أعمال ت. س. إليوت المختار من نقد ت. س. إليوت في ثلاثة أجزاء، وترجم مصطفى بدوي كلا من "مبادئ النقد الأدبي"، و"الشعر والعلم" لإيفور أرمسترونع ريتشاردز، وتشارك كل من حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي في ترجمة كتاب "النقد الأدبي: تاريخ موجز" في أربعة أجزاء» للناقدين الأمريكيين ويليام ويمزات وكلينث بروكس، وقام صبري عبدالنبي بترجمة "سبعة أنماط من الغموض" لويليم إمبسون، كما ترجم إحسان عباس النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمن بالاشتراك مع محمد يوسف نجم -بيروت 1958- 1960 (جزآن).

غير أن أكثر الكتاب ترجمة في العالم العربي هو ت. س إليوت الذي استحوذ على اهتمام كثير من المترجمين والدارسين، فقد بدأ الاهتمام به باكرا حيث أشار إلى بعض آرائه النقدية الكاتب السوداني محمد معاوية نور منذ الثلاثينيات على صفحات الجرائد والصحف المصرية كالمقتطف والرسالة، وكانت حركة ترجمة آثار إليوت إلى العربية من أهم الحركات التي أسهمت في اكتشاف المنهج والموضوعي ولاشخصانية الأدب.

فقد نشر لويس عوض ديوانه بلوتلاند وقصائد أخرى من شعر الخاصة في القاهرة سنة1947، واحتوى على أشعار بالفصحى وبالعافية، وفيه دعا عوض الخروج عن عمود الشعر العربي. وفي سنة 1958 ببيروت اشترك في ترجمة كتاب "ت.س.إليوت :قصائد" كل من أدونيس ومنير بشور وبلند الحيدري، وضم الكتاب قصائد الأرض الخراب، وأربعاء الرماد، وأغنية العاشق بروفروك، والرجال الجوف، ومسرحية جريمة في الكاتدرائية. ثم توالت الترجمات فترجم أمين سلامة من مسرحياته"حفلة كوكتيل" و نشرت سلسلة المسرح العالمي في الكويت "جريمة قتل في كاتدرائية"، و"حفلة كوكتيل" بترجمة صلاح عبد الصبور. وأصدر فائق متى ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي كتاب "إليوت" عن دار المعارف بمصر في سنة 1965، ثم أعيد طبعه للمرة الثانية سنة 1991. وضم منتخبات مترجمة من كتاباته، وفي السنة نفسها (1965). صدرت ببيروت الترجمة لكتاب ماشين إليوت، من ترجمة إحسان عباس . وتمت ترجمة "الأرض اليباب" عدة ترجمات حيث نشرت بالعربية في مجلة الكاتب(جانف) 1962، وترجم قسماً منها عادل سلامة وعبد الله البشير، وترجمها أيضاً الناقد يوسف اليوسف في مجلة "الآداب الأجنبية" بدمشق؛ وعبد الواحد لؤلؤة بعنوان: "ت.س إليوت: الأرض اليباب، الشاعر والقصيدة"، (بيروت 1980).

وصدرت رباعيات أربع: لتوفيق صايغ عن رياض الريس للكتب والنشر في طبعتها الأولى ببيروت سنة 1970، ثم في طبعة ثانية سنة 1990 كما قام الناقد والمترجم العراقيّ مصطفى عبود بترجمة الرباعيات الأربع في السبعينات ونشرها في مجلة الأديب المعاصر. وترجم محمد حبيب "اجتماع شمل العائلة" والتي صدرت عن دار المدى بسوريا في طبعة أولى سنة 2001.

أما في مجال النقد فإن الدكتور ماهر شفيق فريد تفرد بترجمة العديد من أعماله النقدية وهي كثيرة تربو أو تزيد على نصف أعمله النقدية والصادرة عن المجلس القومي للترجمة ووسمها بـ: مختارات من نقد إليوت في ثلاثة أجزاء، وهي عبارة عن مختارات من عدة كتب ومجلات وصحف. يقول عنها جابر عصفور في تصدير لهذه المختارات: " والواقع أنها ليست مختارات بالمعنى الذي قد يتبادر إلى الذهن، وإنما هي أقرب إلى الأعمال شبه الكاملة إذا أردنا الدقة. فقد ترجم ماهر شفيق فريد أكثر من نصف نصوص إليوت النقدية والفكرية"[34] كما ترجم شكري عياد كتابه عن الثقافة وترجمت الروائية والمترجمة لطيفة الزيات مقالات نقدية، ت. س. اليوت وصدرت عن المكتبة الأنجلو-مصرية سنة 1962.

إضافة إلى مجموعة من المترجمين الآخرين كإحسان عباس الذي ترجم كتاب ما حققه ت.س.إليوت تحت عنوان: "ت.س.إليوت الشاعر الناقد" ونشره في صيدا وبيروت، في سنة 1965 ومحمد جديد الذي ترجم كتابه "في الشعر والشعراء"1991. وثمة مقالات عديدة له نشرت في العديد من المجلات، أحصاها الباحث المصري علي شلش في مقال له نشره في مجلة "فصول"[35]

وقد كان لعديد الترجمات الأثر الكبير في انتقال الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفلسفية والمناهج النقدية من الغرب إلى الساحة العربية. واعتقد أن الترجمة كانت أكبر العوامل تأثيرا بخاصة فيما تعلق بالكتب المكتوبة باللغة الإنجليزية وبالتالي النقد الأنجلو-أمريكي ، وذلك من خلال إتاحتها المجال واسعا للكتاب والنقاد العرب الذين لم يتقنوا الإنجليزية للتعرف على تلك المناهج والتيارات النقدية، ومن ثم محاولة حوار هذه المناهج وفق منظورات عربية.

3- المؤثرات الخارجية :

هي تلك العوامل والمؤثرات التي أفرزتها ظروف سياسية واقتصادية وحضارية تخص المجتمعات الغربية، وبخاصة المجتمع الأمريكي والمجتمع الإنجليزي، ولم تؤثر هذه العوامل في العرب فقط وإنما أثرت في باقي شعوب العالم الأخرى، اجتمعت فيما بينها وساعدت على انتشار التيار الغربي بأفكاره الفلسفية ومذاهبه الأدبية ومناهجه النقدية. ومن هذه المؤثرات:

1.3- سطوة اللسان الشكسبيري

إذا كان صمويل دبليو أوديل Samuel W. Odellيعلن في روايته الاستشرافية الموسومة بـ: "الحرب الأخيرة أو انتصار اللسان الإنجليزي" The Last War, or The Triumph of the English Tongue والتي نشرت سنة 1898 أن "العرق الإنجليزي قد غزا الكرة الأرضية. ومما سهل انتصار اللسان الإنجليزي هو تسخير 1500 مركبة جوية محملة بالقنابل، تنفث نارا بدائية لا تنطفئ . وعند إحساسهم بهذا الموت المحقق القادم من السماء، يقرر الناطقون باللغات مثل الفرنسية والألمانية والصينية أن يترجموا أنفسهم إلى لغة القوة الجوية العظمى"[36] وإذا كانت المملكة المتحدة هي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس على مدار قرون من الزمن، امتد فيها نفوذ الإنجليز وسطوتهم ولسانهم من أوروبا إلى إفريقيا إلى

الهند إلى العالم الجديد؛ الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما تتمتع به من قوة عسكرية وسياسية واقتصادية. وإذا علمنا أن العديد من البلدان العربية كانت مستعمرات إما فرنسية أو إنجليزية فلا بد أن يكون لهذه المعطيات تأثيرا في بلورة فكر عربي جديد.

ومما زاد من سطوة اللغات الأجنبية ونشر الثقافة الغربية سياسة التعليم التي انتهجها المحتل سواء المحتل الفرنسي أم المحتل الإنجليزي وذلك من خلال اعتماد لغة المستعمر لغة رسمية في المدارس والمؤسسات التعليمية. ففي مصر وعند دخول الإنجليز الأراضي المصرية عاينوا سيطرة اللغة الفرنسية فيها " فحاول كرومر عن طريق فرض سياسة تعليمية جديدة أن ينشر الثقافة الإنجليزية، بعد أن فشلت مهمة الإرساليات في نشر هذه الثقافة [37]، حيث صدر قرار عام 1886م الذي نصّ على أن تكون لغة التعليم في مصر هي اللغة الإنجليزية، وأطلقت يد إنجلترا في مصر بعد معاهدة عام 1904م بين إنجلترا وفرنسا وأخذ نفوذ الثقافة الفرنسية بالتقلص، وأصبح لا مجال للطالب لإكمال دراسته العليا إلا بإجادة اللغة الإنجليزية. [38] فازداد الاهتمام بهذه اللغة وتمكن الطلبة من أسرارها حتى أجادوها واتسعت معارفهم بها وبخاصة طلبة المراحل المتقدمة في الجامعات والمعاهد.

يقول عمر الدسوقي عن أثر هذا النظام التعليمي في مصر: " فصارت اللغة الإنجليزية هي اللغة الأولى بالمدارس المصرية بمقتضى المعاهدات المختلفة ونفوذ إنجلترا السياسي، وصار الطالب المصري يعرف الكثير عن الأدب الإنجليزي، ولا يكاد يعرف شيئا عن الأدب الفرنسي، ثم أدى إنشاء الجامعات المصرية الحديثة إلى تخصص بعض الطلاب في اللغة الإنجليزية ليكونوا مدرسين متمكنين فيها، وحلوا محل خريجي المعلمين العليا " [39]، ففتحت أقسام اللغة الإنجليزية، التي أدت بالطالب إلى التعامل مباشرة مع النصوص الأدبية والنقدية الإنجليزية والتقرب أكثر إلى عوالم كتابها ومرجعياتهم الفكرية والفلسفية.

ولم تكن سيطرة اللغة الإنجليزية وثقافتها مقتصرة على مصر فحسب، وإنما امتدت إلى معظم الأقطار العربية حيث ارتبطت الهجرة إلى أمريكا بإجادة اللغة الإنجليزية، مما دفع عدداً من السوريين إلى تعليم أنفسهم وأبنائهم هذه اللغة. [40] إن سطوة اللغة الإنجليزية نابعة من امتياز ثقافي ولساني وحضاري، ولأن من يرتوي من النبع ليس كمن يرتوي من الخابية كما يقول ليوناردو دا فنيشي، فقد ساهم الكتاب الإنجليز والأمريكيون في انتشار اللسان الإنجليزي من خلال روائعهم الإبداعية والفكرية والنقدية؛ رواية وشعرا ومسرحا وفلسفة ونقدا. والتي فتحت شهوة القراءة في صورتها الأصلية للكتاب العرب، وكثير من المجددين كالعقاد والمازني وشكري وأحمد زكي أبو شادي ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وغيرهم، هم ممن تعلموا اللغة الإنجليزية وأتقنوها بالمدارس والمعاهد والجامعات. وانطلاقا من هذا الامتياز درس الكتاب والنقاد العرب اللغة الإنجليزية و أجادوها إلى حد بعيد ونظرة سريعة إلى قائمة مراجع مؤلفاتهم تؤكد اطلاعهم على أمهات الكتب النقدية والفكرية الإنجليزية لأغلب المؤلفين، بل إن بعضهم كتب بالإنجليزية شعرا ورواية ونقدا. ومن النقاد الجدد الذين كتبوا باللغة الإنجليزية نذكر على سبيل المثال جبرا إبراهيم جبرا كتب رواية "Passage in the Silent Night " عام 1946، وحملها معه إلى

كمبردج مرقونة على الآلة الكاتبة، ووزع نسخاً منها على زملائه في الجامعة، ولم تصدر في صورتها العربية إلا عام 1955 بعنوان: "صراخ في ليل طويل" بعد أن أعاد كتابتها باللغة العربية،

ولم تكن كتابات جبرا باللغة الإنجليزية تقليدا، أو تبجحا أو تماشيا مع الوسط الإنجليزي، ولكنها كانت من منطلق أنه أجاد هذه اللغة واستغرق في عوالمها السحرية، ومن شعوره العميق بقدرة هذه اللغة على استيعاب أفكاره، لما تزخر به هذه اللغة من طاقات تعبيرية هائلة، ويعترف مرة أخرى جبرا إبراهيم جبرا في إحدى حواراته فيقول:

"فقلت: سأكتب بالإنكليزية، وكنتُ أشعر أن كتابتي بها تجعل ذهني أكثر اتساعاً وطاقتي على التعبير لا تقتصر عن أي شيء تريد تناوله..... وبعد ذلك بدأت في كتابة بعض القصص والمقالات بالعربية وكنتُ أشعر أنها ليست الشيء الذي أريد أن أكتبه"[41] بل ويذهب جبرا إلى أبعد من هذا في تعظيم اللغة الإنجليزية إلى القول بأن الفضل في كتابته باللغة العربية يعود لهذه اللغة الساحرة، ويعرب عن فرحته باتخاذها لغة للكتابة بقوله: "فرحت بالكتابة الإنكليزية والكتابة بالإنكليزية علمتني الكتابة بالعربية"[42].

كما كتب في الدراسات بالإنجليزية أيضا "الفن في العراق" عام 1961 و"جذور الفن العراقي اليوم"، الذي أصدره عام 1983،كما كتب عبد الواحد لؤلؤة كتاب: "الشعر العربي الأندلسي وتطور الشعر الغنائي الأوروبي" Arabic Andalusian Poetry and the Rise of the European Love-Lyric والذي صدر سنة 2003، وكتب عبد العزيز حمودة "مقدمة لمدينتنا"Introduction To our Town سنة 1970 و"المشكلة مع ألبي"The problem with Albee سنة 1978، وغيرها من الأعمال.

وإلى جانب سطوة اللغة الانجلسزسة ساهمت بعض المؤثرات الاخرى في ارتحال الفكر والثقافة الغربية على غرار الإرساليات التبشيرية، والاستشراق

4- خاتمة

إن تظافر كل هذه المؤثرات الخارجية منها والداخلية، إضافة إلى مؤثرات وعوامل أخرى قد تكون أقل تأثيرا كالتبادُلات التجارية والبعثات الدبلوماسية، والرحلات الاستكشافية والرحلات السياحية، والاستشراق، والإرساليات التبشيرية، وحركة التفاعل فيما بينها وبين مختلف الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في الوطن العربي وفي الضفة الأخرى من العالم الغربي، إضافة إلى التحولات الداخلية في الأقطار العربية بخاصة بمصر ولبنان والعراق والشام هو ما أنتج هذا الكم المعرفي النقدي لدى النقاد العرب. وهو ما فتح الآفاق للمدارس النقدية الحديثة كي تحط بالساحة العربية ويكون لها ذلك التأثير الكبير في الخطاب النقدي العربي. ذلك أن الاحتكاك الحضاري والمثاقفة والتواصل بين المجتمعات والشعوب كان وسيظل منبعا لإنتاج المعرفة في أسمى معانيها فكرية أو إبداعية أو نقدية. فالإنسان بطبعه ميال لمبدا التشارك واكتشاف الآخر المجهول، ينبذ الانزواء ويخشى الانغلاق على الذات. وحضور الآخر في وعي الناقد العربي ينطلق من كل هذه العناصر متظافرة، ومن هذا النزوع نحو الاحتكاك والتلاقح. ومن هنا كانت المثاقفة بين الأنا والآخر جسرا لتكامل المعرفة الانسانية وتواصل

الشعوب والمجتمعات. إن المثاقفة هي الاستيعاب الثقافي، والتحول الثقافي، والانصهار الثقافي، والتي تعني المرور من ثقافة على ثقافة قصد استيعابها والانصهار فيها. كما ان هذا المرور يعني، من جانب آخر، الالتقاء الثقافي مع الالتحام الذي يؤدي إلى هوية ثقافية تركيبية جديدة.[43] وإذا كانت صيغة التفاعل الحضاري، تعني في ما تعنيه، الأخذ والتعديل والتكييف، فإنها توجب كقطب ثان للفعل الحضاري المؤثر- المحاورة والاعتراض والتقاطع، وكمبدأ أساسي الفهم والاستيعاب، وليس الاكتفاء بالتبني التام أو الرفض الشامل، وهما موقفان لا يخدمان حركة نقدنا العربي الراهن.."[44]

الهوامش:

[1] ينظر: عز الدين الأمين: (1970) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ط2، دار المعارف، ، القاهرة ، ص67.

[2] عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، الجزء1 ، دار الفكر العربي، بيروت، ص24.

[3] عز الدين الأمين : نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص 67.

[4] محمد زكي العشماوي: الرؤية المعاصرة للأدب والنقد، ص15.

[5] ينظر نبيل راغب: رشاد رشدي، ص8.

[6] لويس شيخو: (1991) تاريخ الآداب العربية ج1،دار المشرق،ط3، بيروت، ص49.

[*] أول جامعة بأوروبا جامعة بولونيا بإيطاليا سنة 1088،و بفرنسا جامعة باريس سنة 1150 ،أمابإنجلترا فجامعة أوكسفورد سنة 1167.

[7] ينظر تطور النقد والتفكير الأدبي في مصر، ص 86-88، أنيس المقدسي: (1960) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي، ط2، بيروت، ص 370.

[8] لويس شيخو: (1991)تاريخ الآداب العربية ج1،دار المشرق،ط3، بيروت،ص51.

[9] ينظر مجلة الأقلام العدد 11/ 1980.

[10]- أنور الجندي: المعارك الأدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983، ص5.

[11] صبري حافظ: (1996)أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع ط1، ص141

[12] المرجع نفسه، ص142

[13] صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، ص142

[14] المرجع نفسه، ص142.

[15] نبيل راغب: (1993) رشاد رشدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص11.

[16] المرجع نفسه، ص11.

[17] نبيل راغب: رشاد رشدي، ص11.

[18] محمد مندور: معارك أدبية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالةن القاهرة، د.ت، ص 87.

[19] المرجع نفسه، ص 87.

[20] محمد مندور: معارك أدبية، ص63.

[21] ندوة العدد: اتجاهات النقد الأدبي، مجلة فصول، المجلد 1 عدد 2، 1981، القاهرة ص206.

[22] المرجع نفسه، ص206.

[23]- محمد عناني: (2002) السيرة الذاتية الكاملة واحات العمر واحات الغربة واحات مصرية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ، ص223.

[24]- أنور الجندي: (1983) المعارك الأدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ص5.

[25] -محمد عناني: السيرة الذاتية الكاملة واحات العمر واحات الغربة واحات مصرية، ص223.

[26] -غالي شكري: (1981) محمد مندور الناقد والمنهج، دار الطليعة، بيروت، ص8.

[27] - يوسف وغليسي: (2009) مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص10.
[28]- عبد العزيز حمودة: (1998) المرايا المحدبة عالم المعرفة رقم 232 ، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون الكويت، ص 133.
[29]- منير البعلبكي (1994) في حوار مع مجلة التبيين، الجاحظية، الجزائر. العدد 8، ص : 106.
[30] ينظر: لجنة التأليف والترجمة والنشر: الإنتاج الثقافي على يد المتطوعين: مجلة الوعي الإسلامي، عدد 587، الكويت، 2014
[31] أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص 371.
[32] ينظر : عز الدين الأمين :نشأة النقد الأدبي : ص 81، 82 .
[33] أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي، ص370.
[34] ماهر شفيق فريد: (2000) مختارات من نقد إليوت، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص7.
[35] ينظر : ت.س. إليوت في المجلات الأدبية 1939. 1952، علي شلش، مجلة فصول، المجلد 3، العدد 4، 1983م، ص 311-315 .
[36] صمويل دبليو أوديل Samuel W. Odell: الحرب الاخيرة أو انتصار اللسان الإنجليزي نقلا عن: مايكل كرونين: الترجمة والعولمة، محمود منقذ الهاشمي وعبد الودود بن عامر العمراني، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص13.
[37] عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، ج2، ص 15.
[38] المصدر نفسه ص 35 .
[39] المصدر نفسه ، ص 50 .
[40] حلمي مرزوق: (1983) تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في مصر في الربع الأول من القرن العشرين، دار النهضة العربية، بيروت، ص 233.
[41] جريدة الحياة، العدد 10005- تاريخ 1990/6/15 من مقابلة أجراها مع جبرا-محمد عبد الواحد- القاهرة. نقلا عن: سليمان حسين: (1999) مُضمرات النصِّ والخطاب دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص38.
[42] جريدة الحياة، المرجع نفسه ص.38
43 عبد المجيد مزيان: (1998) المثاقفة انتروبولوجيا ووتاريخيا في الترجمة والتلاقح الثقافي ندوة إشراف:فاطمة الجامعي الحبابي، المغرب، ص74
44 ينظر: تقديم مجلة الأقلام "ملف خاص بالأدب العربي والمنهجيات الحديثة، ع 12/11، تشرين الثاني-كانون الأول، 1993، ص1